سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «العقيدة الوَاسِطِيَّةِ»

الدرس العاشر

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس العاشر

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف:٣٩].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وَقَوْلِهِ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ [المائدة].

وَقَوْلِهِ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فأسأل الله جل وعلا لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح والثبات علىٰ الحق حتَّىٰ لُقياه..

ثم إن في وصف النبي عليه الصلاة والسلام بـ(السِّيادة) فيما قرأ الأخ بارك الله في الجميع، حيث يقول كثيرون (وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد)، وهو عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم، ووصفه بالسيادة وصف يستحقه عليه الصلاة والسلام ولا شك؛ ولكن لا يدخله جهة التعبد من القائل، بخلاف وصفه عليه الصلاة والسلام بمقام النبوة أو بمقام الرسالة فإنه وصف أعلىٰ وأعظم من وصفه بالسيادة ثم يؤجر العبد عليه لأنه إقرار منه بنبوة ورسالة النبي عليه الصلاة والسلام.

فقول القائل في ابتدائه للكلام مثلا: (الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد أو علىٰ نبينا ورسولنا محمد) هٰذا أفضل لأنه فيه الوصف الشرعي له عليه الصلاة والسلام، ويؤجر العبد علىٰ ذلك لأن فيه الإقرار بنبوته عليه الصلاة والسلام وبرسالته.

ولهٰذا كان العلماء جميعا -أعني علماء السلف- يفضلون بل الشائع عندهم هو وصفه عليه الصلاة والسلام بالنبوة والرسالة، وقلّما تجد بل لا تكاد تجد الثاني وهو أن يقولوا: (والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد)، واستحب طائفة من العلماء من فقهاء المذاهب أن يضاف علىٰ اسم النبي عليه الصلاة والسلام حيثما ورد لفظ السيادة حتىٰ في الأدعية النبوية وحتىٰ في أدعية الصلاة من مثل التشهد والصلاة علىٰ النبي ﷺ، فيقولون: تقولوا – يقول القائل – (اللّٰهمَّ صل علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل سيدنا محمد) إلىٰ آخره.

وسئل جمع من العلماء عن ذلك ومنهم الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في فتوىٰ أو في استفتاء وجه إليه

فأجاب بأن هٰذا خلاف الأدب مع رسول الله ﷺ؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام علم الصحابة تلك الأدعية وتلكم الأذكار، ولم يَشرع لهم الزيادة عليها بل إن النبي عليه الصلاة والسلام لما علم دعاء النوم وقال من علمه: (آمنت بكتابك الذي أنزلت وبرسولك الذي أرسلت) قال له عليه الصلاة والسلام: «لا، ولكن قل: وبنبيك الذي أرسلت» كما علمه عليه الصلاة والسلام أولا.

فدلَّ علىٰ أن ما علمه النبي عليه الصلاة والسلام يراعىٰ فيه لفظه، وهٰذا هو كمال الأدب معه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه اتِّباع له من كل الجهات وطرح للرأي مع رأيه، والنبي عليه الصلاة والسلام لا شك هو سيد ولد آدم؛ ولكن لم يكن من شعار العلماء هٰذه العبارة.

وإطلاق لفظ السيد (السيد) بدون الإضافة عليه لا تجوز؛ لأن السيد هو الله جل وعلا، يعني هكذا (السيد) إذا قيل هكذا ويُعنىٰ به النبي عليه الصلاة والسلام، فإن هٰذا منهي عنه، قد قال عليه الصلاة والسلام: «السيد الله» ولما قيل له: (أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا) قال: «قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرنّكم الشيطان»، أو قال: «ولا يستهوينكم الشيطان» ونحو ذلك، فدل:

- علىٰ أن الكمال في الأجر أن يقول القائل: (نبينا ورسولنا محمد) لأنه يؤجر علىٰ هٰذه العبارة؛ لأن فيها وصف إيماني بما يعتقده المرء من الأمور التي رُتِّب عليها الإسلام، رُتبت عليها الأجور العظام.
- ثانيا أن إطلاق لفظ (السيد) بالتعريف هٰذا فيه نوع تنديد، ولا يقال هكذا: (السيد) وبالإضافة لا بأس به أن يقال: (فلان سيد قومه)، النبي عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم كما قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» ونحو ذلك.

والعلماء فرقوا في هٰذه اللفظة لفظة (سيد) جمعا بين الأحاديث، بين مواجهة المُخاطَب بها أو عدم مواجهته، فإذا واجهه بقوله (أنت سيدنا) مثلا فإن هٰذا منهي عنه كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان» وأما إذا وصف المرء بما فيه بدون مواجهة فإن هٰذا لا بأس به كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إن ابني هٰذا سيد» وكان صغيرا، وقال: «هٰذا سيد قومه»، «وفلان سيد قومه» وقال: «أنا سيد ولد آدم» ونحو ذلك، فالإضافة جائزة ولا يواجه بها من قيلت فيه فإن هٰذا فيه فإن هٰذا هو الذي دل عليه حديث «قولوا بقولكم أو ببعض قولكم».

نصل إلىٰ ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ من الآيات، هٰذا في قوله: (وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا

شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف:٣٩].)

قوله: (وَقَوْلِهِ) هٰذا معطوف علىٰ ما سبق من قوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ: مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ «الإِخْلاَصِ»... وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ..) وذكر قال: (في قوله تعالىٰ) ثم ذكر الآيات فقوله: (وَقَوْلِهِ)) معطوف علىٰ (في قوله) الأولىٰ.

والمقصود بذكر الآيات هٰذه إثبات الصفات لله جل وعلا، وهٰذه الآيات فيها إثبات صفة (الإرداة) و(المشيئة) لله جل وعلا.

فقوله هنا: (وَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾) فيها إثبات صفة (المشيئة) لله جل وعلا و(القوة) لله جل وعلا، والمقصود منها إثبات صفة (المشيئة).

وكذلك قوله في الآية التي بعدها: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ فيه إثبات (المشيئة) وأيضا فيها إثبات (الفعل) لله، وإثبات (الإرادة) لله جل وعلا بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾.

كذلك في الآية التي بعدها في قوله – آية المائدة –: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ فيها إثبات صفة (الإرادة) لله جل وعلا.

وكذلك الآية الأخيرة: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ هٰذه صفة (الإرادة) كذلك قال ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾.

و(المشيئة) لله جل وعلا و(الإرادة) إرادة الله جل وعلا ليستا بمتفقتين دائمًا.

وذلك أن (الإرادة) لله جل وعلا تنقسم إلىٰ قسمين:

- إرادة كونية قدرية.
- وإرادة شرعية دينية.

ومعنىٰ (الإرادة الكونية القدرية) أن الإرادة متعلَّقها ما يكون في ملكوت الله من التكوين ومن القَدَر.

و(الإرادة الشرعية الدينية) المراد منها: ما يكون في آيات الله جل وعلا المتلوة من إرادات الله جل وعلا من العباد. الإرادات الشرعية.

فـ(الإرادة الشرعية) قد يمتثلها العبد وقد لا يمتثلها، يعني: قد يأتي بفعل يوافق مراد الله الشرعي، وقد

يكون فعله غير موافق لمراد الله الشرعي.

وأما (الإرادة الكونية القدرية) فهي: ما يكون في ملكوت الله، لا بد، لا يحصل شيء إلا وهو موافقٌ لإرادة الله الكونية القدرية.

و(الإرادة الكونية القدرية) هٰذه قد يكون منها، لا تكون الأشياء إلا بها؛ وقد تكون الأشياء من محبوبات الله وقد لا تكون من محبوبات الله، فالله جل وعلا أراد الإيمان كونا من المؤمن وحصل العبد عليه، وأراد الكفر كونا من الكافر وكان العبد كافرا.

وأما (الإرادة الشرعية الدينية) فهي محبوبة لله جل وعلا، كما أراد الإيمان يعني: طلبه مُريدا له من العباد فحققه المؤمن، فإذن يجتمع في المؤمن الطائع (الإرادة الكونية القدرية) و(الإرادة الشرعية الدينية)، وأما الكافر أو العاصي فيكون في حقه (الإرادة الكونية القدرية) وهو يكون غير ممتثل لـ (الإرادة الشرعية).

فمثلا في قوله هنا: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ يعني: كوْنًا، وقوله في الآية التي بعدها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ يشمل الحكم الشرعي كما جاء في الآية ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ هٰذه حكم شرعي، ﴿ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ في كونه و ﴿يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ أيضا في شرعه ودينه.

كذلك ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ ﴾ هٰذه في (الإرادة الكونية) ﴿ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ في (الإرادة الكونية).

إذا تبين لك ذلك، فما صلة (المشيئة) لله جل وعلا بـ (الإرادة)؟

(مشيئة) الله جل وعلا مشيئة كونية، لا تنقسم المشيئة إلىٰ شرعية دينية وإلىٰ كونية قدرية، (المشيئة) قسم واحد بخلاف (الإرادة).

فإذن (إرادة) الله جل قسمان: إرادة كونية، وإرادة شرعية.

وأما (المشيئة) فهي شيء واحد وهي:الإرادة الكونية القدرية.

فإذن في قوله: ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ هنا ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ يعني: (المشيئة) هنا التي هي الكونية القدرية والتي ليس لها قسيم هي قسم واحد، ومع قوله هنا: ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ يعني: أن ذلك حاصل بمشيئة الله. كما سيأتي تفسيرها.

إذا تبين لك ذلك فهٰذا التفصيل في (الإرادة) من أن (الإرادة) تنقسم: إلىٰ (كونية قدرية)، وإلىٰ (دينية شرعية).

هٰذا ليس في (الإرادة) فحسب، فثَم ألفاظ في الكتاب والسنة تنقسم إلىٰ هٰذا التقسيم، وقد عدها العلماء في اثني عشر لفظا – أعني المحققين منهم: شيخ الإسلام وابن القيم ومن تبعهم علىٰ المنهج الصحيح رحم الله جل وعلا الجميع وأسبغ عليهم رضوانه – فثَم اثنا عشر لفظا في الكتاب والسنة تنقسم إلىٰ هذين القسمين:

من مثل (الإذن).

ومن مثل (الجعْل).

ومن مثل (الحكم).

و(الأمر) ونحو ذلك.

فإذن هنا ألفاظ لا بد أن تنتبه هل جاءت في الآية ويراد بها الكوني – المعنىٰ الكوني الذي لا بد أن يحصل –؟ أو المعنىٰ الشرعي الديني الذي يطلب من العبد تحصيله؟

انظر مثلا لفظ (الجعل) الذي جاء في الآية الأخيرة في قوله: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾.

هٰذا الجعل كوني أو شرعي؟

كوني

قال: ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ لأن العبد ليس له في تحصيل ذلك، لم يطلب منه أن يفعل ذلك.

فإذن، **الصنف الكوني من هٰذه الألفاظ ما هو راجع إلىٰ (فعل) الله جل وعلا، وليس مطلوبٌ من العبد أن يحصله.**

وأما **الشرعي الديني فهو ما كان من (فعل) الله جل وعلا ويُطلب من العبد أن يحصله.**

فمثلا، خذ مثلا في (الإرادة) قال الله جل وعلا: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾[النساء:٢٧]، هٰذه في (الإرادة) أيش؟ الشرعية لأنه لو كانت (إرادة) كونية كان تاب علىٰ الجميع الكافر والمشرك، لكن ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني شرعا فكونوا مريدين للتوبة محصلين لها ولأسبابها.

هنا في (الجعل) مثلا قال الله جل وعلا: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة:٩٧] هٰذه شرعية ولاّ كونية؟

هٰذه شرعية، لماذا؟ لأن الكعبة قيام للناس يعني: اجعلوها هكذا، اجعلوا الكعبة قياما للناس مكان أمن واطمئنان، العباد فرطوا في ذلك وصارت الكعبة يعني الحرم في أزمان في التاريخ محل خوف بل ومحل قتل ومحل ظلم – نسأل الله العافية – ولو كان (الجعل) قدريا لكانت الكعبة أمنا واطمئنانا رغم أنوف العالمين، لكن الله جل وعلا قال: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ يعني اجعلوها كذلك.

وهكذا في ألفاظ كثيرة يأتي إن شاء الله تفصيلها في مواضعها بإذن الله.

إذن بعد أن عرفت أنه يعني إثبات (المشيئة) لله و(الإرادة)، والفرق بين الإرادة الكونية و[الشرعية]، والتفريق هٰذا مهم في باب القدر لأن كثيرا من فرق الضلال ضلت بسبب عدم التفريق بين (الإرادة) الكونية القدرية و(الإرادة) الشرعية الدينية، وبسبب عدم التفريق ضل أناس كثيرون، وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ساق هٰذا التفريق في النونية قال ما حاصله (هٰذا بيان طالما ضلت به الناس مدىٰ الأزمان) يعني: التفريق هٰذا إذا لم يحصله الناظر في هٰذا الأمر – في أمر القدر – ضل في هٰذا الباب.

قال: (وَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف:٣٩])

هٰذه الآية فيها الحض علىٰ أن يقول العبد إذا أعجبه شيئا ولو في نفسه ولو في ماله أن يقول هٰذه العبارة (مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ) وهي تعصم من أثر العين لأن العين حق فإذا برّك الناظر أو برك السامع – إذا لم يكن يبصر – برّك إذا تعلق قلبه بشيء وأعجبه قال: (بارك الله لك، ما شاء الله تبارك الله) أو قال ما في هٰذه الآية: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ فإن ذلك يمنع الأثر السيئ للعين.

وقوله هنا: ﴿قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ هنا في قوله: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ للحصر/ وهي في المعنىٰ كقوله – كما تعلم– في قوله (لا حول ولا قوة إلا بالله) يعني أنه:لا قوة لك في أمر من الأمور ولا قوة لك في تدبير أمرك ولا في تدبير مالك ولا في تحصيل شيء إلا بالله جل وعلا. فالعبد كما هو معلوم ضعيف إلا بربه جل وعلا.

فإذن في قوله: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ فيها تحقيق (التوكل) وتفويض الأمر إلىٰ الله جل وعلا،

وحسن الظن بالله، وإثبات أن الله جل وعلا هو ولي الفضل وهو ولي الإحسان وهو ولي الإنعام وهو الذي ملّك العباد ما شاء جل وعلا، وأن العباد ليس منهم شيء وليس إليهم شيء وإنما هو فضل الله جل وعلا يسوقه إلىٰ عباده.

هنا في قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾.

هنا ذكر (المشيئة) وذكر (الإرادة) تقدم لنا أنهما هنا بمعنىٰ الإرادة الكونية، (المشيئة) هنا – معروف طبعا بمعنىٰ ما شاءه كونا – و(الإرادة) كذلك بمعنىٰ الإرادة الكونية.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ هٰذه فيها أن الله جل وعلا هو الذي يقدر الأشياء، ويقدر أسبابها فهو جل وعلا لو لم يشأ قتالهم، لو كان جل وعلا لم يشأ قتالهم ما حصل منهم اقتتال، لو لم يشأ الله جل وعلا أن يموت بعضم بسبب بعض ما حصل منهم اقتتال فإذن الله جل وعلا هو الذي شاء الاقتتال والاقتتال سبب في إزهاق الأرواح.

فإذن الله جل وعلا شاء الأشياء وأسبابها، وهٰذا يعني أن (مشيئته) جل وعلا متعلقة بكل ما يحدث في الملكوت من الغايات والأسباب بل وأسباب الأسباب، فما يشأ من شيء له سبب إلا والله جل وعلا قد شاءه كونا، ولو لم يشأ الله جل وعلا ذلك لم يقع كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التكوير]. فـ(مشيئة) الله نافذة، وهٰذه مرتبة من مراتب الإيمان بالقدر عند أهل السنة والجماعة كما سيأتي مفصلا إن شاء الله في موضعه.

فإن من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بتعلق مشيئة الله جل وعلا بكل ما يحصل في الملكوت، فليس ثَم شيء حصل إلا وقد شاءه الله جل وعلا كونا إذ لا مغالب لله جل وعلا في ملكه.

قال هنا: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ هٰذه الآية فيها إثبات أن الله جل وعلا يفعل الإشاء لـ(إرادة) تعلقت بذلك الشيء، وفي ضمن ذلك إثبات الحكمة لله جل وعلا من وراء الأشياء، فإن الله جل وعلا ﴿يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ وفعله لحكمة.

فإذن اقتتالهم كان مرادا من الله جل وعلا، واقع بـ(مشيئة) الله وكان مرادا من الله جل وعلا، وطبعا لفظ (الإرادة) غير لفظ (المشيئة)، لفظ (المشيئة) قد لا يكون معه علة (شاء فلان هٰذا الشيء) لكن لفظ (الإرادة) (أراد هٰذا الشيء) يكون ثَم علة لذلك الشيء.

فإذن لفظ (المشيئة) و لفظ (الإرادة) ليستا متساويتين من جميع جهاتها، نعم يلتقيان في الإرادة الكونية، لكن أيضا (المشيئة) لا تساوي (الإرادة الكونية) من كل جهاتها فإن (الإرادة) فيها معنىٰ أنه (فعل لشيء) وأما (المشيئة) فليس فيها هٰذا المعنىٰ، فإذن نقول: (الإرادة الكونية القدرية): مشيئة وزيادة، زيادة: تفهم منها أن ثم حكمة، ثم علة لذلك.

قال: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ و﴿ مَا ﴾ بمعنىٰ: (الذي) يعني: يفعل الذي يريده. وهٰذا فيه عموم لأن الأسماء الموصولة عند كثير من أهل العلم تفيد عموم ما كان في حيز صلتها.

قال هنا في ما بعد ذلك: (وَقَوْلِهِ: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ [المائدة])

هنا ذكر لفظ (الحكم) وهٰذا يراد به الحكم الشرعي أو الحكم الكوني؟

يراد به الحكم الشرعي؛ لأنه ذكر قبلها حكما شرعيا ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ هٰذا (حكم)، حكم كوني أو حكم شرعي؟

هٰذا (حكم) شرعي.

فإذن هنا في هٰذه الآيات في لفظ (الإرادة) في لفظ (الجعل) في لفظ (الحكم) وكلها منقسمة إلىٰ (إرادة كونية وشرعية) وإلىٰ (حكم كوني وشرعي) وإلىٰ (جعل كوني وشرعي).

(الحكم) الكوني دليله – هٰذه فيها الحكم الشرعي - (الحكم) الكوني هل ثَم دليل عليه؟

نعم... ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[الأنعام:٥٧]، يعني في كونه أو في دينه؟ قد يكون في الدين لأنه من الحكم بين المتخاصمين. لكن الحكم الكوني...

نعم...

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ ﴾[الزمر:٣] نعم، هٰذا ليس مطلوبا من العبد هٰذا حاصل من الله جل وعلا.

الآيات ما استحضرتها الآن لكن ثَم آيات كثيرة فيها أن (الحكم) كوني قدري، وكذلك يكون (الحكم) شرعيا دينيا.

هٰذه الآية فيها الحكم الشرعي الديني.

﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ هٰذه الآية فيها أن بهيمة الأنعام حلال، فبهيمة الأنعام

الأصل فيها طبعا أنها حلال أحلها الله جل وعلا، ولفظ ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ لا يقتضي أنه كان قبلها تحريم، فبهيمة الأنعام حلال ولم تُحَرَّم، لم يحرمها الله جل وعلا بل هي حلال، فقوله هنا ﴿أُحِلَّتْ لَكُم﴾ يعني جعلها الله جل وعلا حلالا، وليس معناها أنه سبق ذلك تحريم لها ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: ما يتلىٰ عليكم سيأتي من ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ إلىٰ آخره هٰذه كلها من أنواع ما لم يُحَل.

ثم قال: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ المقصود بقوله: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ يعني قد دخلتم في الإحرام، إما بحج أو بعمرة، فالمرء إذا وصل للميقات وأحرم بحج أو بعمرة فإنه يحرم عليه الصيد كما قال هنا: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ يحرم عليه أن يَصيد أو أن يعين علىٰ صيده أو حتىٰ يشير إلىٰ الصيد بلسانه أو بيده أو نحو ذلك فالصيد – الاصطياد – لا يباح للمحرم.

قال جل وعلا بعد ذلك بعد هٰذه الأحكام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ يعني في شرعه و ﴿مَا يُرِيدُ﴾ هنا يعني ما يريده شرعا ويدخل في ذلك أيضا ما يريده كونا.

فإذن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ في هٰذه الآية المراد بها (الحكم) الشرعي و(الإرادة) الدينية الشرعية، ويدخل في العموم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (الإرادة) و (الحكم) الكوني القدري.

هنا في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ المتقرر عند علماء الأصول وكذلك عند علماء العربية وعند علماء التفسير أيضا: أن كلمة ﴿إِنَّ﴾ بعد الأمر والنهي والخبر تفيد التعليل – تعليل ما سبق – والتعليل:

- قد يكون لكل الجملة.
- وقد يكون لأصلها.
- وقد يكون لبعضها.

فهنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ هٰذا تعليل للإحلال ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وتعليل لعدم إحلال بعض بهيمة الأنعام في قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ وذلك أن المشركين قالوا: هٰذه التي ماتت حتف أنفها إنما أماتها وقتلها الله وتلك التي ذُكِّيت فإنما أماتها المخلوق وما أماته الله جل وعلا أولىٰ بالحل مما

أماته المخلوق. وهٰذا لا شك أنه مغالطة لذلك الله جل وعلا قال هنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾...[1]

... نحو ذلك من الآيات التي فيها أن سبب (الطبع) هو (الكفر) سبب عدم الهداية – هدايتهم – هو (كفرهم) فإذن نقول: في الآية هٰذه حالان:

- الحال الأولىٰ: حال المؤمنين.
- الحال الثانية: حال الكافرين.

المؤمن يشرح الله صدرَه للإسلام مِنّة وتفضُّلًا من الله جل وعلا وذلك قد يكون بسببٍ من العبد.

وأما القسم الثاني وهم (الضالون) وهم الكفار ممن لم تُشرح صدورهم قال جل وعلا فيهم: ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ وهٰذا يكون بمجازاة العبد بذلك.

فإذن (الطَّبع) بسببهم، وعدم هدايتهم بسببهم.

وأما الهداية فهي قد يكون العبد له تحصيل ولكن التوفيق بيد الله؛ لأن العبد له أنواع ممَّا يصده عن اتباع الحق: (الشيطان) يصدُّه، (الأهواء) تصده، (الشهوات) تصده، (الشبهات) تصده، فهو لو وُكِل إلىٰ نفسه قد لا يخلص من تلك الأعداء الكثيرة، لكن الله جل وعلا يمنُّ علىٰ العبد ويوفقه ويُلهمه حتىٰ يكون منشرح الصدر بالهداية.

فإذن هنا قال: ﴿يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ فلهٰذا يجد العبد المؤمن في نفسه الإقرار لله جل وعلا بأنه ذو الفضل عليه أن مَنَّ عليه بالإسلام، ذو الفضل عليه أن هداه، ذو الفضل عليه أن وفقه أن أعانه، كما قال تعالىٰ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [الحجرات]، قوله هنا: ﴿يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ يشمل نوعي (الهداية): هداية الإرشاد والدلالة، و(هداية) التَّوفيق والإلهام.

ونكتفي بهٰذا القدر عند قوله: (وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة]).

---

(١) يبدو أن فيه سقط هنا.

[الأسئلة]

سؤال (١٥): الحول والقوة ما الفرق بينهما ؟

الجواب: (الحول): الانتقال من حال إلىٰ حال، (لا حول) يعني: لا انتقال لنا من حال إلىٰ حال. أما (القوة) فتحتاجها في الحال الأولىٰ وفي الحال الثانية.

يعني: أنت الآن تنتقل من هٰذا المكان إلىٰ ذاك المكان، تنتقل من بيتك إلىٰ المسجد هٰذا (الحول) لا انتقال لك إلا بالله، كذلك لا (قوة) لك علىٰ ذلك الانتقال في الحالين وفيما بينهما إلا بالله، هٰذا فيه (التجريد) في كل شيء، فيه (التجريد) في جميع الأحوال، (تجريد) الأمر لله جل وعلا، ولهٰذا فيها محض (التوكل) وتفويض الأمر إليه جل وعلا.

سؤال (١٦): .....

الجواب: (توكلت علىٰ الله ثم عليك) هٰذه فيها قولان لأهل العلم.

* أما العلماء المتقدمون فإنهم لا يجيزون مثل هٰذا، وذلك لأن (التوكل) عمل قلبي (التوكل) عمل القلب، لأن فيه التفويض، وفيه الاعتماد، وفيه الالتجاء، وكل ذلك عمل القلب.

وإذا كان هو من عمل القلب فلا يصلح إلا لله، فلهٰذا ليس فيه ترتيب (ثم عليك) لأنه كله لله (توكلت علىٰ الله)، هٰذا وجه الذين يمنعونه.

* وبعض العلماء مثل الشيخ عبدالعزيز ابن باز [رحمه] الله فيما نُقِل عنه – وإلا أنا ما سمعتها منه – أنه يجيز ذلك، ووجه الجواز أن الناس ما يعتقدون المعنىٰ القلبي، هم يعتقدون ظاهر اللفظ، يعني: ما عندهم المعنىٰ القلبي لذلك (توكلت علىٰ الله ثم عليك) يعنون به توكلت علىٰ لله، ثم وكلتك بهٰذا الأمر أو اعتمدت عليك في ها الأمر ونحو ذلك، ما يعنون التوكل الشرعي، لأن الذي يقولها أكثرهم جهال بالمعنىٰ الشرعي للتوكل، فهم ينطقون بلفظ لا يعنون معناه.

لكن إرشاد الناس إلىٰ كون الشيخ قائل بالجواز لا يعني أنه يسوّغه مطلقا للناس يستعملونه، لكنه ما يشدد فيه، من يغلط فيه، ليس شركا وليس بحرام عند الشيخ؛ لأن الناس لا يعنون به المعنىٰ الباطل.

ونهي الناس عنه وإرشادهم إلىٰ الكمال في ذلك والأفضل تجريد للتوحيد، هٰذا لا شك أنه أولىٰ، وقد سئل الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن قول القائل: (توكلت علىٰ الله ثم عليك) فقال: لا يجوز لأن التوكل عمل القلب.

سؤال (١٧): وقول القائل: (أرجوك)؟

الجواب: معناها سهل، (أرجوك)، لٰكن لو قال: (وفيك رجائي) مما فيه إخلاصه، لأن (الرجاء) يحصل من العبد، لكن (فيك رجائي) أو مثل قول القائل: (لك الشكر) مما فيه الاختصاص والكمال، تقديم الجار والمجرور أو تقديم ما حقه التأخير هٰذا فيه الاختصاص، هٰذا لا يسوغ إلا لله، أو يقول: (مع خالص الشكر لك) خالص الشكر لله، ونحو ذلك، هٰذه ألفاظ كثيرا ما يُسأل عنها، مثل لفظ (الشكر) و(الرجاء) ونحو ذلك ما كان فيه عبارة التجريد؛ عبارة الإخلاص الكامل هٰذا لا تكون إلا لله، وهٰذه تكون إما بقول: (خالص) (مع خالص الرجاء) (مع خالص الشكر) أو (لك شكري) و(فيك رجائي) ونحو ذلك هٰذه لا تسوغ ولا تصلح إلا لله.

الثانية أنه يستخدمها كما قال الله جل وعلا: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾[لقمان:١٤]، اشكر لي واشكر لوالديك.

سؤال (١٨): هل يمكن أن يصيب الإنسان نفسه بالعين.

الجواب: ما في شك الواحد قد يُعيّن نفسه، ما في شك قد يصيب بالعين نفسه وماله.

سؤال (١٩): هل القضاء من الألفاظ التي يراد بها الكوني والشرعي؟

الجواب: نعم، كذلك (القضاء) مثل ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣] هٰذا (قضاء) أيش؟ شرعي...

سؤال (٢٠): شيخنا الألفاظ التي تنقسم؟

الجواب: ابحث لا تصير كسلان، تجدها في «شفاء العليل» لابن القيم، هل شفاء العليل أو شفاء الغليل؟ «شفاء العليل» لأن الغليل يحتاج إلىٰ إرواء.

سبحانك اللّٰهمَّ وبحمدك نستغفرك ونتوب إليك.

❁❁❁❁